بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة موسعة ومتكاملة، بعنوان:

الماء مُقوِّم أساسي للحياة والأحياء

براعة الحضارة الإسلامية في مواجهة مشكلات المياه

بقلم الدكتور/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

الجمعة: ٧ صفر ١٤٤٧هـ، الموافق ١ أغسطس ٢٠٢٥م

موقع صوت الدعاة

الحمد لله الذي أنزل من السماء ماءً طهورًا، وجعل منه كل شيء حيّ، وأجراه بقَدَرِه وقُدْرته في دورة كونية إعجازية محكمة، لا تعرف الكسل، أو العطب، أو الخلل، أو الفوضى... تسير وفق نظام إلهي محكم، ودقة ربانية مذهلة، لا يشوبها اضطراب، ولا يتطرق إليها نقص، ولا يعتريها ضعف، مهما طال الزمن أو تغيرت الظروف أو تبدلت الأحوال...

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، أبدع فسوّى، وقدّر فهدى، وسقى خلقه بغير حساب.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبدُه ورسولُه، علَّمنا كيف نتدبَّر في آيات الله الكونية، ونقرأ الكون بعيون الإيمان، فصلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان، الأشرفان الأنوران، الأعطران الأزهران، المزهران المثمران، على مَن جُمعت كلّ الكمالات فيه.. وعلى آله وصحبه وتابعيه..

يارب بالمصطفى بلغ مقاصدنا... واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم

مولاي صل وسلم دائما أبدا... على حبيبك خير الخلق كلهم

اللهم رضِّه عنَّا، وارض عنَّا، برضاه عنَّا.. ووضئنا يا ربنا بأخلاقه العظيمة وحقق أمانينا بزيارته، وافتح لنا أبواب رؤيته، ونيل شفاعته، اللهم آمين يا رب العالمين...

أيها المسلمون: أوصيكم ونفسي المقصرة بتقوى الله، فإنها وصية الله للأولين والآخرين، قال تعالى: (...وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ..) (النساء: ١٣١)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢)، وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (الأحزاب: ٧٠-٧١).

وقال الكريم جل وعلا: (...وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (البقرة: ٢٢٣).

أما بعد... أيها المؤمنون: الماء هو المكون الأساس في نشأة الحياة وتطور الحضارات عبر تاريخ الإنسانية المديد، قال الله تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)(الأنبياء: ٣٠). وعندما يبحث علماء الفلك عن الحياة في كواكب أو عوالم أخرى، فإنهم يستدلون على ذلك من خلال ما يشير إلى وجود الماء في حاضر تلك الكواكب أو ماضيها؛ لذا فإن الكائنات الحية كلها -وعلى رأسها الإنسان- يدركون بأن الماء يساوي الحياة[١]، وإن المتتبع لحركة الإنسان منذ بدء الخليقة وحتى الآن، يلحظ أن الموارد المائية كانت وما تزال وستظل هي نقطة الالتقاء والتجمع؛ لما لها من أهمية قصوى في حياة الكائنات الحية، من حيث كونها مصدرًا أساسًا من مصادر استمرار الحياة، ومن حيث الوظائف التي تضطلع بها في المجالات المختلفة للبيئة التي يعيش فيها الكائن الحي، مثل الزراعة والصناعة والإسكان والشرب والنظافة... إلخ.

ولما كان الماء هو الأساس في نشأة الحضارات الإنسانية وتطورها؛ فإن حضارات السومريين والبابليين والآشوريين والفينيقيين والفراعنة، نشأت في أحواض الأنهار، كذلك فإن المدن التاريخية الكبرى ازدهرت على ضفاف الأنهار، فبغداد ودمشق والقاهرة ولندن وباريس وبرلين، بُنيت على ضفاف دجلة، والفرات، والنيل، وبردى، والتيمس، والسين، والراين -على التوالي- وهكذا في كل مدينة أو منطقة حضارية كان الماء هو المصدر الأساس لتجمعها وحضاراتها[٢].

لقد نشأت الحياة على الأرض منذ بدء الخليقة، وستبقى إلى أن يأتي أمر الله -تعالى- مرتبطة بالماء، فهو النعمة المهداة من الخالق العظيم، إلى مخلوقاته كي تستمر في العيش إلى ما شاء الله[٣].

إن الماء آية من آيات الله تنطق بعظمته ووحدانيته وإبداعه.. فأيّ عظمة في هذا السائل العجيب الذي لولاه لما كانت الحياة!!؛ فالنبات يعلم تماما ما هو الماء، وكذا الجماد والحيوان والإنسان.. العالم والجاهل والرضيع والكهل، كل يقر بنعمة الماء الذي لولاه لمَا عاش مخلوق على هذه اليابسة. وفى الماء تعيش أنواع كثيرة من الكائنات الحية، ونجد في البحار والمحيطات مملكة الأسماك التي تعتمد اعتمادا كاملا على الماء، كما يعد الماء أيضا سبيلاً لمواصلات الإنسان منذ قديم الزمان، حيث تمخر السفنُ البحارَ ويركبها الإنسان؛ لينتقل سعيًا وراء لقمة العيش، كما أنه يدخل في بناء البيوت.. إلخ.

أنواع الماء:

الماء إما أن يكون مالحًا، وإما أن يكون عذبًا. وسنركز على الماء العذب نظرًا لأهميته القصوى للكائنات الحية.. يتنوع الماء العذب إلى ثلاثة أنواع هي: المياه الجوية، والمياه السطحية، والمياه الغائرة (الجوفية).

---

(١) د. عبد العزيز بن صقر الغامدي، من تقديمه لكتاب: المياه ومتطلبات الأمن المستقبلي في الدول العربية: دراسة في دبلوماسية المياه، تأليف د. طارق المجذوب، مركز الدراسات والبحوث بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية بالرياض- المملكة العربية السعودية، سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص٣ بتصرف.

(١) فتحي على حسين، المياه وأوراق اللعبة السياسية في الشرق الأوسط، مكتبة مدبولي، القاهرة، سنة ١٩٩٧م، ص ٧.

(٢) محمود محمد حبيب، محروس الشرقاوي، الإسلام والحفاظ على البيئة، طبعة وزارة الأوقاف المصرية، سنة ١٩٩٩م، ص ٦٧.

فالمياه الجوية: هي كل ما أمطرته السماء من مطر وثلج وبَرَدٍ، ويعد هذا النوع من أنقى أنواع المياه؛ لأنها مقطرة، ولكن هذه المياه قد تتلوث قليلاً أو كثيرًا بما تجرفه أثناء نزولها من غبار الهواء وغازاته وأقذاره، لا سيما في بدء المطر أو في الأمطار الأولى خاصة.

والمياه السطحية: هي المياه الموجودة على سطح الأرض، وتكون إما جارية كالأودية والأنهار(٤)، أو راكدة كالبحيرات.

والمياه السطحية تجرف معها ما تقدر على حمله من الأجسام والمواد المختلفة من أنقاض نباتية وحيوانية وجراثيم وذرات ترابية ومعدنية.. إلخ، ولذلك تكون المياه السطحية مياهًا ملوثة، ولكنها قد تصفو بعدة عوامل، منها:

١. ذاتيًا، وذلك بأن يتسرب ما فيها من عوالق وغيرها في القاع، لا سيما إذا جرى الماء جريانًا طويلاً.
٢. بفعل الشمس والهواء اللذين يقتلان الجراثيم السطحية.
٣. بالفعل الحيوي لبعض الجراثيم التي تفكك المواد العضوية وتمنع نمو بعض الجراثيم الأخرى.
٤. بمرور ماء جديد.
٥. بالحيوانات والنباتات المائية التي تمتص الأقذار وتتغذى بها كالطيور والأسماك والطحالب وغيرها(٥).

أما المياه الجوفية: فهي مياه تنشأ من مصادر متعددة، أهمها: مياه الأمطار، ومياه الأنهار والبحيرات، والمياه الجوفية الناتجة عن النشاط البركاني، ومياه البحار والمحيطات نتيجة تسربها إلى خزان المياه الجوفي، وكذلك من المياه التي تخزن في الصخور الرسوبية أثناء عملية ترسبها(٦). وهذه المياه تغيض في التربة التي يكون فيها ما يساعد على نفوذ الماء، قال تعالى: (وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ)(٧)، وتنفذ المياه الجوفية في الأرض، وتسيل منحدرة حتى تصادف طبقة لا تسمح بتخطيها والنفاذ منها –كطبقة صخرية أو غضارية– فتقف فوقها وتتراكم، ومن ثم تشكل المياه الغائرة السطحية. وقد تجد هذه المياه منفذًا لها من تحت الوادي فتخرج في شكل عين أو يُنبوع، أو تجد لها منفذًا فيما تحت الوفاض الأول فتغور بعدها، حتى تصل إلى طبقة كثيفة ثانية وتشكل المياه الغائرة العميقة(٨). وفي ذلك يقول الله تعالى: (وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ)(البقرة: ٧٤)، ويقول: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ)(الزمر: ٢١). والمياه الجوفية تخرج إما عن طريق الينابيع، أو عن طريق الآبار.

---

(٤) تنقسم الأنهار من حيث الانتفاع بها في الشريعة الإسلامية إلى ثلاثة أقسام:
القسم الأول: ما أجراه الله تعالى من كبار الأنهار، كالنيل ودجلة والفرات، وهذه يجوز لمن شاء من الناس أن ينتفع بها.
القسم الثاني: ما أجراه الله من صغار الأنهار، وهي على نوعين: أحدهما: ذات منسوب عال، وهذه يجوز لأهلها الانتفاع بها، والثاني: ذات منسوب منخفض، عندئذ يحبس لكل فئة حتى مستوى الكعبين، ثم يترك للفئة الأخرى، وذلك من المنطقة المرتفعة إلى المنخفضة.
أما القسم الثالث: فهو ما احتفره الناس في الأرض، يمرّ النهر فيما بينهم. والنهر هنا يعد ملكًا مشتركًا لا يختص أحدهم بملكيته. راجع: الدكتور خالد عزب، كيف واجهت الحضارة الإسلامية مشكلة المياه؟ المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة "إيسيسكو" ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ١٢ وما بعدها بتصرف..

(٥) د/ محمد عبد القادر الفقي، القرآن الكريم وتلوث البيئة، مجلة الوعي الإسلامي، عدد ٢١١ ص ٤٤، د. كمال الدين البتانوني (وجعلنا من الماء كل شيء حي)، مجلة التربية عدد ٩٤ ص ٥١٣.

(٦) د. على إبراهيم الزيات، المفهوم الإسلامي للبيئة وتلوثها، بحث مقدم لمؤتمر (الاجتهاد في قضايا الصحة والبيئة والعمران) الذي عقدته رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع الإيسيسكو واستضافته جامعة اليرموك الأردنية في الفترة من ٣. ٥ يونيو٢٠٠٣م، ص ٢١ بتصرف.

(٧) المؤمنون: ١٨

(٨) د. عبد الفتاح الحسيني الشيخ، الماء والإصحاح في الإسلام، منظمة الصحة العالمية، سلسلة الهدى الصحي (٢) سنة ١٩٨٨م. ص ٢. ٣ بتصرف.

والينابيع على شكلين:

الأول حقيقي: وهو مخرج المياه الغائرة العميقة، وتكون مياهه ثابتة المقدار والحرارة، ولا تؤثر فيها كثرة الأمطار ولا برودة سطح الماء أو سخونته، وتكون نقية. **والثاني غير حقيقي:** وهو الينبوع الذي تؤثر فيه كثرة الأمطار، وتكون حرارته غير ثابتة، ولا يؤمن نقاء مياهه لقرب اتصالها بسطح الأرض.

والآبار نوعان:

الأول: آبار عادية، يحفرها الإنسان في الأرض للوصول إلى طبقة المياه الغائرة، ثم يُستخرج ماؤها بأساليب مختلفة(٩).

الثاني: آبار ارتوازية، يخرج ماؤها من تلقاء نفسه؛ لكونه في باطن الأرض أعلى من فوهة البئر"(١٠).

وجدير بالذكر أن المياه الجوفية تشكل حوالي ٢٤٪ من إجمالي المياه العذبة في العالم، وبهذا تكون المياه الجوفية مستودعًا كبيرًا للمياه العذبة على الأرض، يقول سبحانه وتعالى: (وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ) (البقرة: ٧٤). كما تعد المياه الجوفية المورد الأساس للمياه في كثير من بلدان العالم الصحراوية التي تفتقر إلى الأنهار، مثل السعودية، ودول الخليج العربي، وليبيا... وغيرها، وإن كانت بعض هذه الدول قد خطت خطوات رائدة في مجال تحلية المياه المالحة مؤخرا كالمملكة العربية السعودية.

وعلى الرغم من أن مياه الآبار والينابيع تعد من أقل أنواع المياه تلوثًا نتيجة لمرور المياه السطحية بعدة طبقات تعمل كمرشحات للجراثيم والميكروبات، فإنها يمكن أن تتلوث إذا جاورت مصادر التلوث الأخرى كخزانات الصرف الصحي –خاصة المياه الجوفية القريبة من سطح الأرض– كما يمكن أن تكون المياه الجوفية من نوع الماء العسر نتيجة لتسرب كميات من الأملاح المعدنية إليها مثل: الكالسيوم والماغنسيوم، وهذا يؤثر على إمكانية استخدام المياه في الأغراض المختلفة، كما يؤدي تلوث المياه الجوفية بمياه الصرف الصحي إلى انتشار الأمراض الطفيلية. ويمكن التحكم في تلوث المياه الجوفية بدق المضخات على أبعاد تؤمنها من خزانات الصرف الصحي أو مصادر التلوث الأخرى، كما يجب تحليل الماء الخارج أو المستخرج من الآبار؛ لمعرفة نسبة الأملاح به، ومن ثم الامتناع عن استخدامه إذا كانت نسبة الأملاح به عالية(١١)، وهكذا..

عناية الإسلام الفائقة بالماء:

نظرًا لعظم الماء وأهميته القصوى للحياة، فقد ورد ذكره في القرآن الكريم ثلاثا وستين مرة، بالمشتقات التالية: (ماء "تسعة وخمسون مرة"– ماءك "مرة واحدة"– ماءها "مرة واحدة"– ماؤكم "مرة واحدة" – ماؤها "مرة واحدة") – منها ثمان وثلاثون مرة في الآيات المكية، وخمس عشرة مرة في الآيات المدنية–(١٢)، وذلك لتوعية الإنسان بهذه النعمة ليحافظ عليها، ويعمل جاهدًا على تجنيبها أخطار التلويث(١٣) والإسراف..

---

(٩) ولحافر الآبار في الشريعة الإسلامية ثلاثة أحوال:
أولاً: أن يحفرها للسابلة فيكون ماؤها مشتركاً، وقد وقف عثمان رضي الله عنه بئر رومة.
ثانياً: آبار خاصة الابتداء، عامة الانتهاء، فالآبار التي يحتفرها البدو أثناء مرورهم، فهي لهم ما داموا منتجعين أرضها، وإذا تركوها صارت سابلة.
ثالثاً: أنه يحفرها الشخص لنفسه بالفلاة، وفيها ماء فاضل عن حاجته، ويكون هناك كلأ ليس عنده ماء إلا هذه، فلا يمكن لأصحاب الماشية الرعي إلا إذا حصل لهم السقي من هذه البئر، فيحرم عليه منع فضل هذا الماء للماشية، ويجب بذله لها بلا عوض؛ لأنه إذا منع بذله، منع الناس من رعي ذلك الكلأ، خوفاً على مواشيهم من العطش، ويكون بمنعه الماء مانعاً من رعي الكلأ.. فالمانع يكون مانعاً لشيئين من الممتلكات العامة: الماء والكلأ، والتحريم في ذلك واضح.. راجع: الدكتور خالد عزب، كيف واجهت الحضارة الإسلامية مشكلة المياه؟ (مرجع سابق) ص ١٢ وما بعدها.
(١٠) د. عبد الفتاح الحسيني الشيخ، الماء والإصحاح في الإسلام (مرجع سابق) ص ٣. ٤.
(١١) د. على الزيات (مرجع سابق) ص ٣١. ٣٢.
(١) من الملاحظ أن معظم آيات الماء جاءت في القرآن المكي، والقرآن المكي جاء ليخاطب الناس، ليعرفهم بالله، ويستحثهم على إعمال عقولهم وقلوبهم في الآيات والحجج والبراهين الدالة على وجوده سبحانه وتعالى، ولما كان الماء من آيات الله تعالى الدالة على وجوده ووحدانيته وقدرته، فقد كثر ذكره في الآيات المكية، حضًّا للناس على الإيمان بالله. والله أعلم.
(٢) د. أحمد محمد عمر، المياه والحياة بين الوفرة والندرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة – سلسلة قضايا إسلامية، العدد ٦٦، ٢٠٠٠م، ص ٢٢.

وقد أكد الخالق –سبحانه وتعالى– على أهمية الماء لحياة كل الكائنات؛ باعتباره عنصرا مهما للغاية يجب الحفاظ على نقائه وخصائصه التي خلقه الله –تعالى– عليها، لاستمرار الحياة والأحياء التي تعتمد في وجودها على بقائه بهذه الخصائص، وإذا انعدمت أو قَلَّت، انعكس هذا على الحياة والأحياء بالعدم والفناء [١٤]، يقول الحق تبارك وتعالى: (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ)(الأنبياء:٣٠)، ويقول جل وعلا: (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء) (النور: ٤٥). ويذكرنا ربنا سبحانه بأهمية هذا المصدر الحيوي حتى نحافظ عليه، فيقول: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) (الحج: ٦٣).

والناظر في كتاب الله –تعالى– يلاحظ أن معظم المواضع التي ورد فيها ذكر الماء، يكون ذكره فيها مرتبطا بالأرض، وهي إما ميتة أو هامدة أو خاشعة، فينزل عليها الماء فتهتز وتربو وتنبت كل ما هو مخضر بهيج (..وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ)(الحج: ٥)، فكأنَّ الماء بمثابة الروح للجسد، يحيا عندما تُنْفَخ فيه تلك الروح، ويموت عندما تفارقه..[١٥].

ولأهمية الماء البالغة جعله الله –عز وجل– وفيرًا، وجعل الناس شركاء فيه، وجعل حق الانتفاع به مكفولا للجميع بلا احتكار، وبالتالي لا يجوز لأحد أبدًا أن يحتكر مصادره أو يمنع مَن يحتاج إليه، ويؤكد النبي (صلى الله عليه وسلم) هذه الحقيقة بقوله: (المسلمون شركاء في ثلاث: في الكلأ والماء والنار)[١٦]، وفي رواية: (النَّاسُ شرَكاءُ في ثلاثٍ: الماءِ، والْكلأِ، والنَّارِ) [١٧].

الإعجاز الإلهي في خلق الماء:

لما خلق الله –تعالى– الماءَ وجعله أساسَ الحياة، جعل معه ما يحفظه، حيث حفظ مياه البحار والمحيطات بإضافة الملح إليها، والملح بمثابة المادة الحافظة لها من الفساد[١٨]، كما حفظ الماء العذب بجريانه في إطار حركة دائبة، لا تنقطع أبدًا، سواء أكان الماء معلقًا في السحاب، أم صاعدًا من الأرض إلى السماء في صورة بخار، أم نازلا من السماء إلى الأرض في صورة أمطار، أم منسابًا على سطح الأرض في صورة أنهار، أم عندما يصل جريانه إلى الأعماق؛ ليسلك طريقه إلى جوف الأرض... كل هذه الحركة تمنع فساده، وتزيل شوائبه، وتجدد طهارته..

ولا شك أن هذا في حد ذاته إعجاز عظيم في الكون[١٩].

وتتجلى عظمة الخالق العظيم –سبحانه وتعالى– في هذا المخلوق "الماء" حيث ميَّزه بخصائص تبرز قدرته سبحانه وإعجازه في خلقة؛ فالماء سائل شفاف لا لون له، ولا طعم له، ولا رائحة له. وهو يتكون من اتحاد عنصري الهيدروجين والأوكسجين. وتركيبه الكيميائي كما هو معروف (يد ٢أ)، أي ذرتان من الهيدروجين وذرة من الأوكسجين [٢٠].

ومن جليل نعم الله تعالى على المخلوقات أن الماء يوجد في حالات ثلاث: الأولى: الصلبة (الثلج)، الثانية: الغازية (البخار)، والثالثة: السائلة، ومن عظيم قدرته تعالى، أنه جعل الماء يتشكل حسب البيئة التي يوجد فيها، فهو تارة شلال جارف، وتارة أخرى يرتفع بقوة نحو السماء؛ ليعود فيسقط ثانية، وهكذا من خلال ما يسمى

(١٤) محمود محمد حبيب، محروس الشرقاوي، الإسلام والحفاظ على البيئة، ص ٦٢.
(١٥) المرجع السابق، ص ٦٤.
(١٦) أخرجه أبو داود
(١٧) أورده ابن تيمية في مجموع الفتاوى، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة، عن حبان بن زيد الشرعبي، لقد غزَوتُ مع النبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم غزواتٍ فسمِعتُه يقولُ ، يقول: (الناسُ شُرَكاءُ في ثلاثٍ: في الماءِ، والكلأِ، والنارِ)، خلاصة حكم المحدث : له شواهد.
(١٨) د. أحمد محمد عمر، الماء والحياة بين الوفرة والندرة، ص ٢٥ بتصرف.
(١٩) المرجع السابق ص ٢٢ – ٢٤ بتصرف.
(٢٠) محمود محمد حبيب، محروس الشرقاوي، الإسلام والحفاظ على البيئة، (مرجع سابق) ص ٦٢.

بالدورة الهيدرولوجية[٢١]: hydrologic cycle الدورة المائية من البحر إلى اليابسة من خلال الغلاف الجوي وعودتها من اليابسة إلى البحر، حيث يرسم الماء خلال حركته على سطح الأرض، دورة مغلقة تدعى عادة "بالدورة الهيدرولوجية" وتتم هذه الحركة بتأثير عدة عوامل، أهمها: الطاقة الشمسية الساقطة على سطح الأرض، والثقالة (الجاذبية)، فبتأثير الأشعة الشمسية، تتبخر كميات كبيرة من مياه البحار والمحيطات، حيث تتكاثف على شكل سحب وضباب، تنتقل بعدها هذه السحب على سطح الأرض وباتجاه اليابسة في أغلب الأحيان، بتأثير التيارات الهوائية وحركة الغلاف الجوي، حيث تهطل بسبب عوامل معينة على شكل أمطار أو ثلوج، تغذي الأنهار والبحيرات والبحار والمحيطات لكي تبدأ الدورة المائية من جديد[٢٢].

ولتوضح هذه الدورة، نؤكد أن الغلاف الجوي (السقف) يحتوي على بخار الماء المتصاعد من داخل الأرض والذي بخرته الشمس من المسطحات المائية كالمحيطات والبحار، والدفع به إلى أعلى حيث تثير به الرياح –وهي التيارات الهوائية– السحب، فيتكاثف إلى مطر، يرجع إلى الأرض اليابسة، فيحييها، وفي ذلك يقول الله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ)(فاطر:٩)، وقال: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ)(الحجر: ٢٢)، ثم يعود الماء إلى البحار والمحيطات من خلال الأمطار والأنهار والينابيع، ومن ثم فهما مصدرا الماء العذب على الأرض كلها، وهو غير مخزون ولكنه دورة بين السماء والأرض، ذلك أن الماء المخزن في الأرض مدة طويلة يذيب أملاحا فينشرها فيصير مالحا أجاجا. قال تعالى: (أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ، أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنْ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ)(الواقعة: ٦٩-٧٠). إن الطبقة السفلى من الغلاف الجوي تعيد بخار الماء المتصاعد إليها بشكل مطر، وبهذا فإن الآية الكريمة تشير إلى الدورة الهيدروليكية المستمرة والمسخرة بين المحيطات والأنهار من جهة، وبين سحب الغلاف الجوي من سمائنا من جهة أخرى، فإذا تبخر جزء من ماء الأرض بحرارة الشمس فإنه يعود إليها من السماء على هيئة أمطار. قال تعالى: (وَأَنزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ)(المؤمنون: ١٨)، والتعبير القرآني "بقدر" إشارة صريحة إلى توازن توزيع الماء، فالأنهار مثلاً تنساب بصفة دائمة طوال العام على الرغم من أن الأمطار موسمية وتتم في بضعة شهور فقط[٢٣].

إن تغذية الأنهار وغيرها من مصادر المياه تتم بقدر وبكميات مقننة بقدرة الله –سبحانه وتعالى– والتوازن واضح أيضًا في تصريف المياه وعودتها إلى البحار أو الهواء بشتى الطرق، وكذلك تكوين الضباب والسحاب لتتكرر الدورة، ولولا هذا التصريف لاجتاحت الفيضانات والسيول الكرة الأرضية كما يحدث أحيانًا حينما تتعطل مؤقتا –لحكمة إلهية– العمليات الطبيعية المذكورة في الدورة الهيدروليكية لتعطي للإنسان إنذارًا وتجعله شاكرًا لله على استمرار هذه الدورة في توازن مستمر تؤدي فيه السماء دورًا أساسيًّا بإعادة الأمطار من السحاب إلى الأرض[٢٤] بإرادة الله وقدرته.

ولا شك أن الدورة المائية التي ذُكرت في القرآن قبل أن يكتشفها الغرب بنحو ١٤٠٠ عام، تدل دلالة واضحة على عظيم قدرة الله وإعجازه في خلقه وعلى صدق النبي المعصوم المبلغ عن ربه جل وعلا؛ ذلك أن بخار الماء المندفع من داخل الأرض أو المتبخر من سطحها ما كان ليرجع إلينا أبدًا، لو لم يخص الله تبارك وتعالى الغلاف الغازي المحيط بالأرض (نطاق المناخ) بتناقص في درجة الحرارة كلما ارتفعنا حتى نصل إلى ناقص ٦٠ درجة مئوية على ارتفاع حوالي ١٠ كم من سطح البحر، حيث يتكثف بخار الماء عند اصطدامه بهذا النطاق، فيعود منه مطر أو برد أو ثلج، فهذه إحدى صور الرجع، وأحد مظاهر الحفاظ على الأرض وما فيها.

---

(٢١) مجمع اللغة العربية، معجم الهيدرولوجيا، القاهرة ١٩٨٤م، ص ٧٢.

(٢٢) راجع: خالد عزب (مرجع سابق) ص ٥ بتصرف

(٢٣) صالح نعمان: منهج البحث في علم العقيدة في ضوء التطور العلمي المعاصر، رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة– الجزائر، سنة ٢٠٠٣-٢٠٠٤م، ص ٢٦٧-٢٧٠

(٢٤) الدكتور أحمد فؤاد باشا: رحيق العلم والإيمان – موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. **www.amaneena.com:** .

- **ورد ذكر الماء في القرآن الكريم ثلاثا وستين مـرة لتوعية الإنسان بهذه النعمة؛ ليحافظ عليها، ويجنبها أخطار التلويث والإسراف**
- **لأهمية الماء البالغة جعله الله -عز وجل- وفيراً، وجعل الناس شركاء فيه، وجعل حق الانتفاع به مكفولا للجميع بلا احتكار**
- **الدورة المائية ذكرها القرآن قبل أن يكتشفها العلم الحديث بمئات السنين**
- **الماء هو السائل الوحيد للإرواء الآدمي والحيواني والنباتي**
- **حفظ الله الماء العذب بجريانه وحركته الدائبة، سواء أكان معلقاً في السحاب، أم صاعداً إلى السماء في صورة بخار، أم نازلا منها إلى الأرض في صورة أمطار، أم منسابا على سطح الأرض بالأنهار، أم جاريا بالأعماق**
- **على الرغم من التقدم العلمي والتقني الذي تشهده البشرية، فإنها لم تستطع أن تتوصل إلى بديل صناعي آخر يمكن أن يحل محل الماء**
- **ميز الله الماء بخصائص تبرز قدرته سبحانه وإعجازه في خلقة، وأوجده في حالات ثلاث: الأولى: الصلبة (الثلج)، الثانية: الغازية (البخار)، والثالثة: السائلة لمصلحة المخلوقات**

واستكمالا للعطاءات الإلهية للبشر، فقد جعل الله تعالى البخر من أسطح البحار والمحيطات يفوق ما يسقط فوقها من مطر بكثير، وأن المطر فوق اليابسة يزيد على البخر من سطحها، بنفس القيمة التي تفيض من اليابسة إلى البحار والمحيطات، ولولا هذه الدورة لفسد ماء الأرض كله في فترة زمنية وجيزة[٢٥]. كما جعل سبحانه بخار الماء (السحب) سببًا في منع معظم الأشعة الحرارية طويلة الموجة (تحت الحمراء) الوافدة إليها من الخارج (الكون والشمس خاصة) التي تمتصها صخور الأرض والمحيطات[٢٦] وتعيد إشعاعها في الجو بعد غياب الشمس.

وهكذا تبين من الدراسة المتأنية للقرآن الكريم أن مفهوم "الدورة الهيدرولوجية" واضح ومبين في كثير من آياته وضوحًا يلفت الأنظار. والآيات التي تتناول الدورة تتناولها في قسمين: الأول: يبين الحلقات الأولى من الدورة، والثاني: يبين الآيات الدالة على أصل المياه الجوفية والسطحية أو الحلقة الأخيرة من الدورة.

فالأول: التبخر والانتقال والهطول، وفي ذلك يقول تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (الأعراف: ٥٧). ويقول جل شأنه: (اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)(الروم: ٤٨)، وتحمل الآيتان دلالة واضحة، ويكفي أن نعبر عنها كما يلي: رياح مرسلة، تحمل سحابًا يساق إلى اليابسة، ينزل به المطر. ويلاحظ دقة العبارة القرآنية، حيث يقول الله عز وجل: (فأنزلنا به الماء..) والضمير في (به) عائد على السحاب، وقد ثبت حديثًا أن السحاب هو الواسطة لإنزال المطر، ويُعد مكثفًا لبخار الماء الذي تحمله الرياح وخاصة في الأمطار الغزيرة.

والثاني: التسرب وأصل المياه السطحية والجوفية، ومن الآيات الواردة في هذا الخصوص –وهي كثيرة–: قوله تعالى: (وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ)(المؤمنون: ١٨) يقول الإمام القرطبي –رحمه الله– في تفسيره لهذه الآية: (وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) إشارة إلى الماء العذب وأن أصله من البحر، رفعه الله بلطفه وتقديره من البحر إلى السماء حتى طاب بذلك الرفع والتصعيد، ثم أنزله إلى الأرض لينفع به،

(١) زغلول النجار: الإعجاز العلمي في القرآن. ج٣، ص١٣.

(٢) زغلول النجار: مرجع سابق ج٣، ص١٣. وانظر: صالح نعمان، منهج البحث في علم العقيدة في ضوء التطور العلمي المعاصر، ص ٢٦٧-٢٧٠.

وأخبر الله بأن الماء الذي أنزله من السماء استودعه في الأرض وجعله فيها مختزناً لسقي الناس؛ يجدونه عند الحاجة أهـ. ويقول تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ) (الزمر: ٢١) يقول الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية: أنزل من السماء، أي من السحاب ماء، أي المطر، فسلكه: أي أدخله في الأرض وأسكنه فيها. قال الشعبي والضحاك: كل ماء في الأرض فمن السماء نزل.

وتدل هذه الآية دلالة بينة على وضوح مفهوم الدورة المائية في القرآن الكريم.

وهذا ما لفت انتباه العالم الفرنسي **موريس بوكاي** مؤلف كتاب "الكتاب المقدس والقرآن والعلم" حيث عقد في كتابه فصلاً بعنوان: "الدورة المائية في القرآن الكريم" ختمه بهذه العبارة: "وإذا قارنا بين المعطيات الهيدرولوجية الحديثة وتلك التي تستقى من عديد من الآيات القرآنية نلاحظ وجود توافق شديد ملحوظ بينهما". لعل هذا المفهوم العلمي الواضح للدورة الهيدرولوجية في القرآن الكريم هو الذي هيأ ظهور فكرة الدورة الهيدرولوجية في وقت مبكر على يد المهندسين المائيين المسلمين(٢٧).

هذا وقد انفرد الماء بخواص تميزه عن سائر المواد الأخرى، أهمها:

١. أنه تجرى فيه جميع التفاعلات الحيوية في بدن الكائن الحي من إنسان وحيوان ونبات.

٢. أنه يسهم في تنظيم حرارة الجسم بالتعرق، ذلك أن الجسم يطرح كل يوم ما بين لترين وثلاثة لترات من الماء في الكليتين (١٤٠٠ ج) والجلد (٨٥٠ج) والرئتين (٨٠٠ج) والأمعاء (بضعة جرامات) ويعوضها بالماء الذي يتناوله الإنسان في طعامه وشرابه(٢٨).

٣. للماء حرارة نوعية، وهو بذلك يُعدُّ وسيطا ممتازًا لانتقال الطاقة الحرارية، ومن ثم فإنه يقوم بدور مهم ورئيس في ضبط حرارة الجسم بالنسبة للإنسان وغيره من الأحياء.

٤. أنه يذيب المواد الغذائية داخل جسم الإنسان؛ لتعمل فيها العصارات الهاضمة، ثم يحمل هذه المواد أثناء امتصاصها من الأمعاء وفي تجوالها مع الدم إلى الأنسجة، ليلتقط كل منها ما يحتاجه ويناسبه، فالغدد اللعابية تفرز حوالي ١،٥ لتر في اليوم، والمعدة تفرز ٢،٥ لتر، والأمعاء والبنكرياس يفرزان ٤،٥ لترات.

٥. أنه يتميز بخاصية الطفو: فكثير من العناصر عندما تختلط بالماء تطفو على سطحه.

٦. أنه يتميز بخاصيته في الإذابة، ويساعده في ذلك أن الشحنات الكهربائية فيه موزعة بحيث يكون جزء من ذراته سالبا والآخر موجبا، فيبدو الماء وكأنه مغناطيس، يجذب إليه المواد الأخرى ويقوم بإذابتها، وإن كانت سرعة ذوبان المواد فيه مختلفة، وعندما يقوم الماء بجذب الأيونات الموجبة أو السالبة من المواد الأخرى فإنها لا تعود للتجاذب فيما بينها وتختفي بين ذرات الماء(٢٩) ولهاتين الخاصتين –وغيرهما– أمرنا الله –سبحانه وتعالى– أن نستعمل الماء في التطهر لتذوب المواد التي نريد التخلص منها، وتبتعد عن الجسم المراد تنظيفه.

ولهذا نص المفكرون على أن الماء "مزيل للقاذورات والأوساخ ومُذْهِب لعين النجاسة وأثرها، بما في ذلك الرائحة الكريهة التي تؤذي الإنسان، وأنه يزيل الأوساط الملائمة لتكاثر الجراثيم وطفيليات الأمراض المعدية". وإن الذي يميز الماء ويكشف عن حكمة استخدامه في التطهر هو مقارنته مع السوائل الأخرى التي لو

---

(٢٧) نقلا عن: د. خالد عزب (مرجع سابق) ص ٥ بتصرف، وانظر: جلال الخانجي، مدخل لمفهوم الدورة الهيدرولوجية عند العرب والمسلمين، ص ٨٦، كتاب أبحاث المؤتمر السنوي الثالث للجمعية السورية لتاريخ العلوم، معهد التراث العلمي العربي بحلب، ١٩٨٠م، وموريس بوكاي، الكتاب المقدس والقرآن والعلم، ص ١٨٧، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨م.

(٢٨) د. عبد الفتاح الشيخ، مرجع سابق، ص ١.

(٢٩) د. أحمد مدحت إسلام، الماء سائل الحياة، نشر دار الفكر العربي، ط ١سنة ١٩٩٩م، ص ٢٨–٣٠ بتصرف.

استخدمت في التطهر لأدى ذلك إلى جذب الحشرات إلى جلد الإنسان، لما تحويه هذه السوائل من روائح ونكهات –على عكس الماء الذي يتميز بأنه لا رائحة له– ومواد تغري الحشرات، فتتهافت عليه مسببة القرص واللدغ والإزعاج، إضافة إلى ما تنقله من أمراض، كما أن أي سائل غير الماء يبطل عمل المنظفات المستعملة معه كالصابون وغيره[٣٠].

٧. والماء يدخل في كل العمليات البيولوجية والصناعية، ولا يمكن لأي كائن حي مهما كان شكله أو نوعه أو حجمه أن يعيش بدونه، ذلك أن البروتوبلازم –وهي المادة الحية في جسم الكائنات والمخلوقات– عبارة عن محلول لعدد من المواد المعلقة في الماء. وهو الوسط الذي نشأت فيه جميع أنواع الحياة، ولا يمكن أن يوجد بروتوبلازم بغير ماء ولا حياة بغير بروتوبلازم. وقد أثبتت الأبحاث العلمية التي أجريت على الخلية أن الماء هو المكون المهم في تركيب مادتها، وهو وحدة البناء في كل كائن حي نباتًا كان أم حيوانًا.. إلخ، كما أثبت علم الكيمياء الحيوية أن الماء لازم لحدوث جميع التفاعلات والتحولات التي تتم داخل أجسام الأحياء: فهو إما وسط أو عامل مساعد، أو داخل في التفاعل، أو ناتج عنه[٣١].

٨. وإلى جانب كون الماء مادة الحياة، فهو موطن الغالبية العظمى من الكائنات الحية التي تعمر المحيط الحيوي، ويكوّن حوالي ٦٠ – ٧٠٪ من أجسام الأحياء الراقية بما فيها الإنسان، وترتفع هذه النسبة إلى حوالي ٩٠٪ من أجسام الأحياء الدنيا. ولذلك كله كانت الحياة فوق هذا الكوكب مرتبطة بوجود الماء فيها على حالته الطبيعية النقية التي خلقه الله عليها، فإذا أصابه ما يغير أحد خواصه، كان ذلك مؤشرًا على خطر كامن يتهدد الحياة[٣٢].

وهكذا.. وعلى الرغم من التقدم العلمي والتقني الذي تشهده البشرية، فإنها لم تستطع أن تتوصل إلى بديل صناعي آخر يمكن أن يحل محل الماء.. وصدق الله القائل: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) (الأنبياء: ٣٠)..

كيف أبدعت الحضارة الإسلامية في استثمار المياه وعلاج مشكلاتها؟

عطفا على ما سبق نؤكد أن الحضارة الإسلامية في عصورها الزاهرة، قد بلغت شأوة المجد في تعاطيها مع قضايا المياه، منطلقة في ذلك من: المنهج الإسلامي الشامل ومطبقة له في شتى جوانب الحياة، ومن الخبرات العلمية والتطبيقية الفريدة التي أسسها العلماء العرب والمسلمون، والتي تعد شاهد عيان على تفردهم وتفوقهم وعلو كعبهم في مجالات المياه قبل علماء الدول المتقدمة بمئات السنين..

وفي هذا المقال نتحدث عن: فلسفة الإسلام في استثمار المياه ومحاربة الإسراف فيها، والنهي عن تلويثها وسبقه الطبي ورشده الحضاري قبل العالم كله في ذلك، وكيف ينظر كبار علماء الإسلام إلى زراعة نباتات الزينة؟، وحراسة الحضارة الإسلامية لحقوق الجميع في المياه، وسبق العرب إلى علوم استنباط المياه الخفية، على النحو التالي:

(٣٠) د. عبد الحميد المجالي: البحوث الطبية في أحكام الطهارة، بحث مقدم لمؤتمر (الاجتهاد في قضايا البيئة والصحة والعمران) الذي عقدته رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع الإيسيسكو واستضافته جامعة اليرموك الأردنية في الفترة من ٣– ٥ يونيو٢٠٠٣م،، ص ٥ بتصرف.

(٣١) محمد عبد القادر الفقي: القرآن الكريم وتلوث البيئة مجلة الوعي الإسلامي، عدد ٢١١ ص ٤٤، د. كمال الدين البتانوني، (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)، مجلة التربية عدد ٩٤ ص ٥١٣.

(٣٢) د. محمد زرمان، الفقه الإسلامي ودوره في حل مشكلة التلوث، بحث مقدم لمؤتمر: الاجتهاد في قضايا الصحة والبيئة والعمران الذي عقدته رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع كلية الشريعة بجامعة اليرموك ومنظمة الإيسيسكو في الفترة من٣ . ٥ يونيو٢٠٠٣م بالأردن.

أولا: فلسفة الإسلام في استثمار المياه ومحاربة الإسراف فيها

الناظر في الشريعة الإسلامية الغراء يلاحظ أن نصوصها قد تضافرت للحث على المحافظة على شتى موارد المياه واستثمارها، وعلى حمايتها من كل العوامل التي تسبب فسادها؛ لذلك نهت الشريعة عن الإسراف في الماء أو استعماله في غير موقعه، أو تجاوز الحد اللائق في استعماله؛ حتى لو كان بغرض الطهارة من الحدث الأكبر أو الأصغر، وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) مضرب المثل والقدوة الحسنة والمثل الأعلى في ذلك.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أنس (رضي الله عنه) أنه قال:"كانَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يَتَوَضَّأُ بالمُدِّ، ويَغْتَسِلُ بالصَّاعِ، إلى خَمْسَةِ أمْدادٍ"(٣٣).

وعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال: جاء أعرابيٌّ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يسألُه عن الوُضوءِ؟ فأراه ثلاثًا ثلاثًا، قال: (هذا الوُضوءُ، فمَن زاد على هذا فقد أساءَ وتعدَّى وظلَمَ)(٣٤).

وجاءت الأحكام الشرعية لتنبه على أهمية الماء في الحياة، وتحذر من الإسراف في استهلاكه في شتى الأغراض (الشرب والنظافة والصناعة والزراعة..)، وحتى في مجال العبادات، سواء أكانت هذه المياه متوفرة بكثرة أم محدودة؛ لأن العبرة بالتصرف الأخلاقي المتوازن فيها، وليس بالنظر إلى كثرتها أو قلتها، حتى تحتفظ البيئة بتوازنها بهذا المورد المهم، قال مجاهد: "لو أنفق إنسان ماله في الحق لم يكن مبذرًا، ولو أنفق مدًا في غير حق كان مبذرا"(٣٥).

وعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ مرَّ بسَعدٍ وَهوَ يتوضَّأُ، فقالَ: (ما هذا السَّرَفُ يا سَعدُ؟) قالَ: أفي الوضوءِ سَرفٌ قالَ: (نعَم، وإن كنتَ على نَهْرٍ جارٍ)(٣٦).

والحديث يدل على النهي عن الإسراف في الماء للغسل والوضوء، واستحباب الاقتصاد. وقد أجمع العلماء على النهي عن الإسراف في الماء، حتى ولو كان الشخص على شاطئ النهر. قال بعض أصحاب الشافعي إنه حرام، وقال بعضهم إنه مكروه. ومعنى هذا أن كل استهلاك للماء يتجاوز القدر المطلوب المؤدي للغرض، ويتسبب في إهدار كميات منه بدون سبب، يعدُّ في الإسلام إساءة وظلمًا.

وقد استند الفقهاء إلى هذا الحديث ليقروا أن الزيادة في غسل الأعضاء في الوضوء على الثلاث الواردة في الحديث مكروهة، إذا كان الماء مباحًا أو مملوكًا لصاحبه، وأما إذا كان موقوفًا مثل: ماء المساجد والمدارس...إلخ، فإن الزيادة فيه على ثلاث، حرام عند جمهور الفقهاء؛ لأن الغرض منه هو الوضوء الشرعي فقط.. والله تعالى أعلى وأعلم. ومن هنا نؤكد على أنه إذا كان التشديد في استهلاك الماء في حالة العبادة والتطهر هذا شأنه، فمن باب أولى أن يلتزم الإنسان بالحد المعتدل في الحالات الأخرى كالطهي والتنظيف والاستحمام والنظافة.. وغيرها(٣٧).

---

(٣٣) أخرجه مسلم

(٣٤) أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماحة وأحمد، باختلاف يسير.

(٣٥) محمد على الصابوني: مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم، بيروت الطبعة، السابعة سنة ١٩٨١م، صـ٤٧٣.

(٣٦) أخرجه الإمام أحمد في مسندة بإسناد صحيح

(٣٧) د. محمد زرمان: الفقه الإسلامي ودوره في حل مشكلة التلوث (مرجع سابق) صـ٢٩-٣٠ بتصرف، وانظر أيضاً: الشوكاني: نيل الأوطار، طبعة دار الجيل، بيروت ج١ صـ٢٥٠، محمد شمس الحق العظيم آبادي: عون المعبود، طبعة دار الكتب العلمية. بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ، ج١ صـ١١٨.

ثانيا: الإسلام.. والنهى عن تلويث الماء.. سبق طبي ورشد حضاري

تحفل الشريعة الإسلامية بكثير من النصوص التي تحث على حماية الماء من التلوث، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (لا يغتسِلْ أحدُكم في الماءِ الدَّائمِ وهو جُنُبٌ)، فقالوا: كيف نفعَلُ يا أبا هُرَيرةَ ؟ قال: يتناوَلُه تناولًا(٣٨).

وعن جابر (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) (أنَّه نَهَى أنْ يُبالَ في الماءِ الرَّاكِدِ)(٣٩)، كما نهى عن التبرز فيه؛ فعن معاذ بن جبل (رضي الله عنهم جميعا) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (اتَّقوا الملاعِنَ الثَّلاثَ: البَرازَ في الموارِدِ، وقارِعةِ الطَّريقِ، والظِّلِّ)(٤٠).

كما نهى أيضًا عن ترك الإناء بدون غطاء، أو ترك السقاء بدون رابط؛ حتى لا يتلوث ما بداخله، فعن جابر (رضي الله عنه) أنه سمع النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: (غَطُّوا الإناءَ، وأَوْكُوا السِّقاءَ(٤١)، فإنَّ في السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فيها وباءٌ، لا يَمُرُّ بإناءٍ ليسَ عليه غِطاءٌ، أوْ سِقاءٍ ليسَ عليه وِكاءٌ، إلَّا نَزَلَ فيه مِن ذلكَ الوَباءِ)(٤٢). وفي روايةٍ: فإنَّ في السَّنَةِ يَوْمًا يَنْزِلُ فيه وباءٌ.

ويتجلى حرص النبي (صلى الله عليه وسلم) في المحافظة على نقاء الماء في قوله: (إذا اسْتَيْقَظَ أحَدُكُمْ مِن نَوْمِهِ، فلا يَغْمِسْ يَدَهُ في الإناءِ حتَّى يَغْسِلَها ثَلاثًا؛ فإنَّه لا يَدْرِي أيْنَ باتَتْ يَدُهُ) (٤٣).

وسبب الحديث كما قال العلماء، هو أن أهل الحجاز كانوا يستنجون بالحجارة وبلادهم حارة، فإذا نام أحدهم عرق فلا يأمن النائم أن تقع يده على ذلك الموضع النجس...إلخ(٤٤).

فهذه طائفة من الأحاديث وغيرها كثير، تنهي عن تلويث الماء بالبول والبراز؛ لأن هذا الصنيع –مع قذارته وتقزز النفوس منه– يولد أمراضًا وبائية، فهذا بول فيه "بلهارسيا"، وهذا فيه حمى صفراء، وآخر فيه صديد، إلى غير ذلك من الأمراض التي تظهر في البول، وهذا هو السر في كثرة المصابين بهذه الأمراض من أبناء الريف الذي لا يتحرز بعض أهله عن هذا الصنيع.

ومن هنا يتبين سر نهي النبي (صلى الله عليه وسلم) عن التبول والتبرز في الطريق والظل والماء، سواء أكان جاريًا أم راكدًا؛ لأن الماء الجاري يحتاجه الناس في شرابهم ومأكلهم ونظافتهم وزراعتهم، فإذا كان ملوثًا بشئ مما ذُكر، وكان هذا الشيء لإنسان مريض، فلا شك في انتقال المرض إلى مَن استعمل ذلك الماء الملوث(٤٥).

وفى حالة الماء الراكد تزداد المخاطر وتتفاقم وتزداد حدتها؛ لأن الماء الراكد بطبيعته يعد مرتعًا للميكروبات التي تسبب أمراضًا للإنسان.

ثالثا: كيف ينظر كبار علماء الإسلام إلى زراعة نباتات الزينة؟

ومن عظمة الإسلام إقراره لمبدأ المحافظة على الثروة النباتية وعدم الإسراف في زراعة ما ليس فيه فائدة، أو تقل فائدته، تحاشيًا لاستنزاف المياه فيما لا عائد له، واستبداله بزراعة النباتات المثمرة التي تحقق الكفاية من الغذاء

---

(٣٨) أخرجه ابن حبان

(٣٩) أخرجه مسلم والنسائي وابن ماجة

(٤٠) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير.

(٤١) أي غطوا الطعام واربطوا قِرب الماء.

(٤٢) أخرجه مسلم

(٤٣) أخرجه مسلم

(٤٤) د. عبد الفتاح الشيخ: اهتمام الإسلام بالماء والنظافة، ص٢٦.

(٤٥) المرجع السابق.

للمواطنين. وهذا المبدأ اعتمده الفقهاء المسلمون بناء على ما أقره الإسلام من الامتناع عن الإسراف في كل مجالات الحياة، بيد أنهم أباحوا زراعة نباتات الزينة في الحالات التي تكون فيها الأمة مكتفية في غذائها، أما إذا كان عدد السكان كبيرًا، والإنتاج الزراعي غير كاف لتلبية احتياجاتهم الضرورية –كما هو الحال الآن– فإن الإسلام يفرض علينا أن نوجه عنايتنا إلى استنبات المحاصيل الغذائية، وعدم تبديد التربة والمياه فيما لا فائدة منه.

وقد تناول ابن خلدون هذه الفكرة في مقدمته، وأشار إلى أن من بين أسباب تفشي المجاعات في الأمصار: انصراف الأغنياء إلى زراعة أشجار الزينة؛ للتباهي بها، وإغفالهم الضروريات التي يكون بها معاش العباد.. ويؤكد أن المدينة إذا كثر فيها غرس النارنج[٤٦] تأذنت بالخراب، حتى إن كثيرًا من العامة يتحاشون غرس النارنج.. ثم إن النارنج والليم[٤٧] والسرو[٤٨] وأمثال ذلك مما لا طعم فيه ولا منفعة هو من غاية الحضارة، إذ لا يقصد بها في البساتين إلا أشكالها فقط، ولا تغرس إلا بعد التفنن في مذاهب الترف[٤٩].

لقد أراد الإسلام أن يكون الاقتصاد في الاستهلاك صفة أساسية من صفات المسلم، وخلقًا مركوزًا فيه، يوافقه في جميع مجالات حياته، ويكيّف سلوكه، ويرشده إلى أقوم السبل للتعامل مع مختلف موارد البيئة، لصيانتها من العبث، والمحافظة عليها من السرف، وحمايتها من التبديد، وهي الأمور الضرورية التي تفتقر إليها البيئة، ويجب على لإنسان العربي أن يتمثلها، وتتطلب منه التحرك الواعي في هذا المجال؛ لإيجاد القنوات المؤثرة التي بإمكانها توصيل هذا الفكر الخصب والطرح الواعي إلى العالم[٥٠].

رابعا: حراسة الحضارة الإسلامية لحقوق الجميع في المياه

لقد كان العرف السائد هو المنظم لحقوق استغلال المياه قبل الإسلام؛ حيث كانت القبائل المتنقلة في أراضي شبه الجزيرة العربية تستقر في مواقع خلال الترحال، وفي هذه المواقع ترسم مناطق على الأرض تسمى "الحريم" تحدد بها القبيلة مجال حق الانتفاع بالموارد المائية السطحية والجوفية القريبة إلى المضارب والواقعة ضمن نطاقها، مع مراعاة حقوق باقي القبائل من المناطق المجاورة.

وكان هناك مفهوم آخر هو "الحمى" الذي يعبر عن استعداد القبيلة للدفاع عن حقوقها، وهو مكون من عنصرين: يحدد العنصر الأول خط الدفاع الفعلي المرسوم على الأرض، ويتضمن العنصر الثاني الاعتبارات المعنوية والحقوقية لكيان القبيلة. وكان انتهاك أي من هذين العنصرين يدعو القبيلة للنهوض والذود عن الحمى.

ومع مجيء الإسلام –رسالة ربانية مصلحة ومجددة وبانية– فقد وافق على الأعراف السائدة، لكنه ألغى كل المفاهيم التي تكرس الملكية الفردية للمياه والحقوق المطلقة للانتفاع بها. ذلك أن الماء في الأصل –ككل شي– ملك لله، ويجب أن يكون متاحًا لكل الناس، لا يجوز لأحد احتكاره أو امتلاكه أو بيعه، كما جاء في الحديث الشريف؛ لذلك نهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن بيع الماء. قال أبو يوسف: وتفسير هذا عندنا، والله أعلم، أنه نهى عن بيعه قبل أن يحرز، والإحراز لا يكون إلا في الأوعية والآنية، فأما الآبار والأحواض فلا[٥١].

---

(٤٦) النارنج: شجرة مثمرة من الفصيلة السذابية دائمة الخضرة، لها رائحة عطرية، وأزهارها بيض، عبقة الرائحة، تظهر في الربيع وتستعمل في صنع ماء الزهر وبعض العطور. راجع: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص٩١٣.

(٤٧) الليم: هو نفسه الليمون، وهو شجر مثمر من فصيلة البرتقاليات.

(٤٨) السرو: جنس شجر حرجي للتزيين، من فصيلة الصنوبريات. راجع: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص٤٨٢.

(٤٩) مقدمة ابن خلدون. ص٢٥١.

(٥٠) د. محمد زرمان: الفقه الإسلامي ودوره في حل مشكلة التلوث (مرجع سابق) ص٣٢.٣٣ بتصرف.

(٥١) كيف واجهت الحضارة الإسلامية مشكلة المياه؟ (مرجع سابق) ص ٧ وما بعدها بتصرف.

ولقد حرص فقهاء المسلمين على جعل الارتفاق بالمياه حقًّا عامًّا تحميه الدولة، بل وألزموا الدولة بتطهير الأنهار العامة وصيانة جسورها. أما إذا كان مورد المياه يخص طائفة بعينها، فإن عليهم صيانته. لقد تطورت الأحكام المتناثرة للمياه في كتابات الفقهاء أو في المحاكم الشرعية، لنرى الفقهاء وخبراء المياه يجمعون أحكام المياه في أبواب متكاملة، تعكس مدى ما وصلت إليه هذه الأحكام من تقدم، ومدى ما وصل إليه المسلمون من تقدم في حل مشكلات المياه... كما تطورت قوانين المياه سريعًا في التشريع الإسلامي، حتى أصبحنا نردد مصطلحات فقهية خاصة بالمياه دون غيرها، مثل: حق جريان المياه، أو حق إجراء الماء، وحق الشرب[٥٢].. بل أصبحت كتب فقه العمارة لا تخلو من أبواب تتعلق بقضايا المياه، بل إن قضايا المياه في الحضارة الإسلامية تجاوزت هذا بكثير، بحيث أصبح لدينا الآن من واقع سجلات المحاكم الشرعية قضايا تتعلق بنزاعات أو أوقاف خاصة بالمياه[٥٣].

خامسا: سبق العرب إلى علوم استنباط المياه الخفية

مما يدعونا للفخر بعلمائنا وحضارتنا أن علماءنا كان لهم قصب السبق في معرفة أماكن المياه الجوفية بشكل دقيق، فإذا كانت التقنيات الحديثة والأقمار الصناعية وأجهزة الاستشعار عن بُعد تعطي مؤشرات عن إمكانية وجود المياه الجوفية في أماكن معينة، وهذه المؤشرات قد لا تتسم بالدقة الكافية أو الثبات، فإن الحضارة الإسلامية –من خلال علمائها النابهين الأفذاذ– قد تميزت في هذا المجال تميزًا أبهر الدنيا كلها، مما يدعونا إلى دراسة تراث علمائنا وما سطروه في هذا المجال، تحقيقا لتعظيم الاستفادة من المياه الجوفية التي يمكن أن تؤدي دورًا كبيرًا في علاج مشكلاتنا المائية الحالية والمستقبلية..

وهناك كتب كثيرة تناولت هذه القضية التي تدعونا للفخر بتراثنا المجيد، منها كتاب: "علل المياه وكيفية استخراجها وإنباطها في الأرضين المجهولة"، لأبي بكر أحمد بن علي المعروف بابن وحشية.

ووضع فيلسوف العرب "الكندي" توفى سنة ٢٦٠هـ شرحاً على كتاب: "في قود المياه"، ونجد أيضًا في رسالة الكندي "في العلة الفاعلة للمد والجزر" اكتشافه للدورة الهيدرولوجية، فيذكر عناصرها المعروفة في الوقت الحاضر تقريبًا.

وكتاب: "إنباط المياه الخفية"، لمحمد بن الحاسب الكرجي المتوفى في القرن الخامس الهجري، والكتاب الذي وضعه في هذا العلم كتاب نفيس يمكن أن يُعدّ موسوعة فنية في دراسة المياه الجوفية واستثمارها، ويقودنا في كتابه إلى كيفية الاستدلال على وجود الماء الجوفي وكميته من خلال الأحجار والجبال والطين.. ويصف أيضًا أشكال الجبال التي تحتفظ بالثلوج وتختزن الماء في أجوافها، ومن صفاتها أن تكون مغطاة بالشجر، بشكل يظللها فيؤدي إلى احتفاظ الأرض بالرطوبة وتقليل البخار، وفي الصحاري ينظر إلى الأرض وشكل حجارتها، فالحجارة الرخوة السوداء تدل على الماء، والحجر المختلف الألوان المتبدد يدل عليه، والحجر الأبيض المتفرق، وكذلك الصخور الثابتة، ويلاحظ أنه يشير إلى الحجر المتفرق والمتبدد، وهذا يعطي دليلاً على الفراغات، وبالتالي ازدياد تسرب الماء إليها، كما يذكر الكرجي مجموعة من النباتات يدل وجودها على الماء الجوفي، ويذكر أن وجود هذه النباتات يدل على وجود الماء الجوفي مع الشروط الآتية: أن يكون نابتًا من غير زرع، وأن يكون غضًّا، ومن هذه النباتات نبات الحاج حيث جذوره تمتد حتى تصل إلى الماء، وتمتد جذوره إلى ١٥ ذراعًا، أي ما يقرب من ٨ أمتار تقريباً، وذكر مثالاً آخر لنفس النبات، حيث وصلت جذوره إلى ٥٠ ذراعًا، أي نحو ٢٧ مترًا.

---

(٥٢) ويعدّ هذا الحق مشروعاً لكل شخص (مسلماً كان أو غير مسلم)، سواء بإرواء عطشه أو سقي دابته إلخ.

(٥٣) د. محمد زرمان: الفقه الإسلامي ودوره في حل مشكلة التلوث (مرجع سابق) ص٣٢–٣٣ بتصرف.

كما يصنف الكرجي المياه الجوفية وخواصها الكيميائية والفيزيائية إلى ثلاثة أنواع: الماء الساكن، والماء المتكاثف، والماء الذي تكون مادته من الثلوج والأمطار... ومن ثم فهذا الكتاب يعج من الكتب التراثية المهمة جدا في هذا المجال، إذ يشتمل على براهين رياضية وتحليلات هندسية، وأنظمة قياس، ووصف دقيق لتنفيذ أعمال إنشائية، وربط بين الاختلاف التضاريسي على سطح الأرض وحركة المياه، ومعرفة بالدورة المائية "الهيدرولوجية" وتوصل إلى أن الأمطار والثلوج تتسرب عبر شقوق القشرة الأرضية لتشكل مصدرًا مغذيًا للمياه الجوفية التي تظهر من جديد على سطح الأرض، وشرح آلية انبثاق العيون، وشرْح عدد من الحركات التي تحدث في الأرض، كالسقوط والانهدام بتأثير المركز، وانتقال المياه، وحركة الأجزاء الترابية الدقيقة لتترابط، وحركة القارات. كما شرَح وفصَّل أنواع المياه الجوفية تبعًا لأشكال وجودها ومنسوبها عن سطح الأرض، وفصَّل الحديث عن الصعوبات التي تعترض حفر الآبار والقنوات، وقدم حلولاً شاملة، منها: حلول هندسية وتنفيذية، ومنها نصائح وقائية، ومنها أدوات وتقنيات تساعد في تذليل تلك الصعوبات مما يجعل الكتاب رصيدًا إسلاميًّا مهمًّا في خدمة الإنسانية كلها..

ومن الكتب المهمة أيضا كتاب: "البئر" الذي ألفه أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي، ويعدّ هذا الكتاب من الرسائل التي كانت نواة للمعاجم العربية الكبيرة فيما بعد، ويجمع الكتاب مجموعة لا بأس بها من الألفاظ التي توصف بها الآبار في: حفرها واستخراج المياه منها، وقلة تلك المياه وكثرتها، وأجزاء البئر وأنواعها، وأسماء كل نوع، وأنواع المياه الخارجة منها، وآلات استخراج المياه من الآبار.

وهناك أيضا كتاب "عين الحياة في علم استنباط المياه"، لأبي العباس أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري –نسبة إلى دمنهور بمصر– ولد فيها سنة ١١٠١هـ، ويعدُّ كتابه من المؤلفات المتأخرة في هذا العلم، وعلى الرغم من ذلك فإن للكتاب أهمية خاصة، حيث فسر الاستنباط لغة واصطلاحًا، وتكلم عن المواضع التي فيها ماء، والتي ماؤها قريب، والتي ماؤها بعيد، وما يستدل به على ذلك من أمارات ذكرها"، وتحدث عن صور لمهاب الريح، وكرة الأرض، والأقاليم السبعة وغيرها. وتكلم فيه أيضا عن حفر الآبار، وطرائقه، ووسائل معالجته، وكأنه أراد منه أن يُحفز همم الأمة إلى اكتسابه لتفيد منه في شئون دنياها وآخراها فتعمر الأرض، وتنبط المياه، وتزرع وتغرس ما تتقوت به، وما يمد لها من أسباب الحياة الهانئة.

وكتاب: "علم المياه الجارية"، وهو أحدث ما كتبه علماء المسلمين في هذا المضمار، خطه الشيخ محمد حسين العطار الدمشقي (١٢٤٣–١١٧٧هـ/١٨٢٧–١٧٦٤م) فضلا عن المخطوطات الكثيرة التي كتبها المسلمون في هذا المجال(٥٤).

وهكذا رُزِق العرب منذ قديم الزمان فراسة حاذقة، يتعرفون بها على مكامن الماء في باطن الأرض ببعض الإشارات الدالة على وجوده، وبعده وقربه، وذلك: بشم التراب، أو برائحة بعض النباتات فيه، أو بحركة حيوان مخصوص، وقد سمى العلماء معرفتهم هذه بـ "علم الريافة"، ويقال لمَن يقوم بالحفر وإنباط الماء "القناء"، وقد تطورت هذه المعرفة الفطرية عند العرب إبان تفجر ينابيع العلم منذ ظهور الإسلام، وتبحر العلماء المسلمين فيه، وقامت الحضارة الإسلامية وعمرانها على أسسه وقواعده، فصارت بجهود علماء الرياضيات والطبيعيات علمًا محررًا ومدونًا، وفنًّا تطبيقيًّا بالغ الدقة، ارتقى به بعضهم إلى اختراع موازين يزن بها ارتفاعات الأرض على النحو الدقيق الذي اهتدى

(٥٤) انظر: الفصل الثاني: علم استنباط المياه عند المسلمين، من كتاب: كيف واجهت الحضارة الإسلامية مشكلة المياه؟، للدكتور محمد عزب (مرجع سابق)، بتصرف.

إليه، وشرح صفته المهندس الرياضي (الكرجي)، وبدأ العلماء المسلمون التأليف في الماء في أواخر المائة الثانية الهجرية، وقد تناولوا بحثه من جوانب مختلفة، وأرقاها وأبلغها فوائد وعوائد ما ألفوه في (استنباط المياه الخفية)[٥٥].

وبعد.. فإن الإسلام بوصفه دينًا للحياة بأبعادها المختلفة يحث على وقاية الإنسان من كل الأخطار البيئية التي تهدد حياته، ومن ثم فإنه من الجدير بالمسلمين من منطلق عقيدتهم أن يكونوا أصح الناس أبدانًا، وأقلهم أمراضًا، وأكثرهم حفاظًا على أنعم الله؛ لأن الدين الذي يؤمنون به يحض على نظافة الأبدان والثياب والأمكنة، ويجعل إماطة الأذى عن الطريق جزءا لا يتجزأ من العقيدة الدينية، ناهيك عن نظافة القلوب. والحق أن الثراء العلمي الذي اشتمل عليه القرآن الكريم كفيل بإنقاذ الإنسان من شرور نفسه ليعيش حياه كريمة، ويعرف كيف يستثمر أنعم الله عليه، فلا يهدرها أو يلوثها أو يعتدي عليه بسلوكيات خاطئة وعادات مرذولة، وهذا يدل على أن الإسلام ليس مجرد دين عبادة وشعائر فحسب، فالعلم والأخلاق والقيم من دعائمه الرئيسة التي لا يمكن إغفالها أو الاستغناء عنها[٥٦]. وهكذا رأينا منهج الإسلام القويم في المحافظة على المياه ورعايتها، والتحذير من الإضرار بها، وكان تطبيق المسلمين وحكامهم في عصور الحضارة الإسلامية الزاهرة لهذا المنهج أكبر دليل على استقرارهم ونهضتهم واستثمارهم المثالي في قضية المياه، مما يستدعي منا جميعا العودة إلى هذا المنهج الرباني، والتمكين له بشتى السبل والوسائل، وتطبيقه، والاستفادة من المستجدات العصرية التي تتواءم مع منهجه الشامل [٥٧].

أيها الأخوة المؤمنون: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) رسولُ الله.. عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله.. يقول الحق (تبارك وتعَالَى): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢).

بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا يَسُوقُ الْخَيْرَ إِلَّا اللَّهُ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا اللَّهُ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، مَا كَانَ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. أما بعد يا عباد الله...

الماء أمانة، وحفظ الأمانة من الإيمان

وشكر النعمة لا يكون بالكلام فقط، بل بالفعل والوعي والضمير.

إن مسؤوليتنا تجاه نعمة الماء لا تتوقف عند حفظها في أنفسنا، بل تمتد لتربية أبنائنا ومجتمعنا كله على ترشيد استهلاكها، وغرس قيمة شكرها في القلوب والعقول، بأساليب تجمع بين القدوة والإبداع، بين الدين والعلم، وبين التعليم والترفيه، ومن هذه الأساليب:

القدوة العملية: فلا ننهى أولادنا عن الإسراف ونحن نغسل السيارة بلا حساب!، فليكن الأب والمعلم قدوة حقيقية: يغلق الصنبور أثناء الوضوء، ولا يترك الماء يسيل أثناء غسل الأطباق، فيتعلم الأبناء بالفعل لا بالكلام؛ لأن السلوك أبلغ من ألف خطاب.

التعليم من خلال القصة: ولها أهمية بالغة في التأثير النفسي والوجداني على النشء والشباب.

---

(٥٥) المرجع السابق

(٥٦) د. محمود حمدي زقزوق: من تقديمه لكتاب الدعوة والإعلام وقضايا البيئة، وزارة الأوقاف المصرية – مركز الإعلام والاتصال، ص٥ بتصرف.

(٥٧) راجع ذلك مفصلا: كتاب منهج الإسلام في مواجهة مشكلات المياه للدكتور أحمد علي سليمان، الرباط: نشر المنظمة الإسلامة للتربية والعلوم والثقافة "الإيسيسكو" ٢٠١٠م. وكتاب الماء والأمن القومي المصري للدكتور أحمد علي سليمان، القاهرة: مؤسسة دار التحرير "كتاب الجمهورية"، ٢٠١٠م.

مسابقات ترشيد واقعية: فلنبتكر مسابقات مدرسية وأسرية مثل: "من يستهلك أقل قدر من الماء خلال أسبوع دون الإخلال بالنظافة؟" ولتكن الجوائز رمزية، لكن الأثر التربوي عميق وباقٍ.

الابتكار والمشاركة المجتمعية: شجع أبناءك على تركيب فلاتر للحنفيات، أو استخدام مياه الغسيل في تنظيف الأرضيات، أو اختراع أدوات بسيطة للحفاظ على الماء. بل اجعلهم يشاركون أفكارهم مع زملائهم، لتصبح الثقافة منتشرة.

الربط بالقيم الدينية والهوية الإيمانية: علّموا أولادكم أن النبي ﷺ كان يتوضأ بمدٍّ (أي نحو نصف لتر من الماء!)

الوسائط الرقمية الحديثة: في زمن "التيك توك" و"الريلز"، يحتاج الجيل الجديد إلى لغة بصرية مؤثرة؛ فلننتج مقاطع قصيرة توعوية تُظهر نتائج الإسراف، وتحفّز على الحفاظ، بأسلوب إنساني مؤثر، وليس فقط تعليمات جافة.

دمج التعليم البيئي في المناهج: اجعلوا "الاقتصاد المائي" جزءًا من التعليم العملي، مع زيارات ميدانية لمحطات تنقية المياه أو القرى التي تعاني من شحّ المياه، حتى يرى الطالب الواقع، ويشعر بالمسؤولية.

وهكذا فإن تربية النشء والمجتمع على الحفاظ على الماء ليست ترفًا تربويًّا، بل ضرورة وجودية، ومسؤولية أخلاقية ودينية. ولكي ننجح، علينا أن نربي بالعقل والعاطفة، بالقصة والصورة، بالعلم والسلوك، بالقدوة والمحبة، حتى يصبح حفظ الماء قيمة داخلية لا مجرد تعليمات خارجية.

اللهم ارزقنا شكر نعمك، وحسن استغلالها، اللهم اجعلنا من عبادك الحريصين على حفظ الماء، وعلى كل نعمة رزقتنا بها، اللهم احفظ بلادنا وبلاد المسلمين من القحط والجدب، وبارك لنا في أرزاقنا ومائنا وهوائنا وأرضنا.

نسأل الله أن يحفظ أوطاننا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللَّهُمَّ احفظها من كل سوء، وبارك لنا فيها، واجعلها دار أمن وإيمان، وسلامٍ وإسلام. اللَّهُمَّ من أرادها بسوء فاجعل تدبيره تدميره، وردّ كيده إلى نحره.

اللهم احفظ مصر شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، طولها وعرضها وعمقها، بحارها وسماءها ونيلها، ووفق يا ربنا قيادتها وجيشها وأمنها وأزهرها الشريف، وعلماءها، واحفظ شعبها، وبلاد المحبين يا رب العالمين.

اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا اللهم طهّر قلوبنا من الكبر، وزيّنها بالتواضع،اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلِّ اللهم وسلِّم وبارِك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وفقنا الله للاستعانة بنعم الله على طاعة الله، وعلى ترقية الحياة...

وفي النهاية نشكر الله تعالى العظيم الأعظم، الكريم الأكرم، الحكيم الأحكم، الذي هيأ لنا الأسباب، وأفاض علينا وأثاب، وألهمنا جليلَ الخطاب، وفتح لنا واسعَ الأبواب في العلم والخير والنفع.

(...رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) (النمل: ١٩)، (..الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ..) (الأعراف:٤٣)...

اللهم تقبل هذا العمل من الجميع... وبالله تعالى التوفيق

خادم الدعوة والدعاة د/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفنجري ٢٠٢٢م)

المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية- عضو نقابة اتحاد كُتَّاب مصر

واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: drsoliman٥٥٥٥٥@gmail.com

يُرجى من السادة الأئمة والدعاة متابعة الصفحة الرسمية، وعنوانها:

(**الدكتور أحمد علي سليمان**)؛ **لمتابعة كل جديد** https://www.facebook.com/drahmedalisoliman/